موقع اللغة العربية من خريطة العالم

الإنسان في جوهره هو ذلك المخلوق المتميز، المتفوق على غيره من المخلوقات؛ فهو يفكر وينطق ويكتب بمجموعة من الرموز والإشارات تكوّن (لغة) هي أرقى ما توصل إليه عقل الإنسان من اختراع وابتداع، تسمه بالإنسانية وتؤدي حاجاته. واللغة هى الوسيلة الرئيسة التي يتواصل بها البشر، كما أنها الوسيلة الرئيسة التي يفشل البشر في التواصل عن طريقها، وقد قال جولد سميث في إحدى رواياته: " لسنا نستعمل الكلام للإفصاح عن حاجاتنا بقدر ما نستعمله لمداراتها ".

ويختلف تقدير اللغات المنطوقة بين ثلاثة آلاف لغة وعشرة آلاف، وهذا الاختلاف في الأرقام ناتج عن التفاوت فيما يمكن أن يندرج تحت اللغة أو اللهجة، إلى جانب الاختلاف حول حياة اللغات أو موتها، فضلا عن الاكتشافات اللغوية الحديثة. أما العدد الذي تذكره معظم المراجع فيتراوح بين أربعة آلاف لغة وخمسة آلاف.

تحتل اللغة العربية المركز الخامس بين اللغات العشرين التي تمثل القمة بالنسبة لعدد المتحدثين بها بوصفها اللغة الأم (اللغة الأولى)[1]. ويسبقها كل من اللغات:

١. الصينية: وتحتل المركز الأول، ويتحدث بها حوالى مليار من البشر.
٢. الإنجليزية : ويتحدث بها حوالى ثلاثمائة وخمسين مليونا.
٣. الأسبانية: ويتحدث بها حوالى مائتين وخمسين مليونا.
٤. الهندية (لغة شمالى الهند الأدبية والرسمية): ويتحدث بها حوالى مائتي مليون.
٥. ثم تأتي في المركز الخامس العربية: ويتحدث بها حوالى مائة وخمسين مليونا.

---

[1] Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language P. 287.

ويتساوى معها في عدد المتحدثين كل من اللغتين البنغالية والروسية، ثم تأتي البرتغالية (١٣٥)، واليابانية (١٢٠)، والألمانية (١٠٠)، والفرنسية (٧٠).

ويتأخر ترتيب اللغة العربية إلى المركز السابع، عند تقدير عدد المتحدثين بها بوصفها لغة رسمية[٢]. وتسبقها اللغات التالية:

١. الإنجليزية : ويستخدمها مليار وأربعمائة مليون من البشر.

٢. الصينية : ويستخدمها مليار من البشر.

٣. الهندية : ويستخدمها سبعمائة مليون متحدث.

٤. الأسبانية: ويستخدمها حوالي ثمانين ومائتي مليون متحدث.

٥. الروسية: ويستخدمها حوالي سبعين ومائتي مليون متحدث.

٦. الفرنسية: ويستخدمها ما يقرب من عشرين ومائتي مليون متحدث.

٧. ثم تأتي العربية : ويستخدمها مائة وسبعون مليونا.

ويليها البرتغالية والمالاوية :(١٦٠)، ثم البنغالية (١٥٠)، واليابانية (١٢٠)، والألمانية (١٠٠)، والأردية (٨٥)، والإيطالية(٦٠).

واللغة العربية هى الأكبر بين اللغات الأفروآسيوية، وهى المجموعة التي تعرف أيضا باسم (اللغات الحامية السامية)، وهى أكبر أسرة لغوية في شمال أفريقيا والطرف الشرقي منها، فضلا عن جنوب غرب آسيا. وتشمل هذه الأسرة مائتى لغة، يتحدث بها ما يزيد عن مائتين وثلاثين مليونا. وتضم ستة أقسام كبيرة، يظن أنها اشتقت من لغة أم واحدة، وجدت في حدود الألف السابعة قبل الميلاد.

ولا يقتصر انتشار العربية - بوصفها واسطة اتصال عالمي ووعاء فكر إنساني أصيل - على مناطق الوطن العربي فحسب، بل يرتبط كذلك ارتباطا وثيقا بمناطق انتشار الإسلام في العالم. ويتحدث العربية عشرون دولة عربية وغير عربية، منها على سبيل المثال موريتانيا التي تستخدم العربية لغة أولى

---

(2) Crystal, D. The Cambridge Encyclopedia of Language P. 287.

لهـا، أمـا جيبوتي وإسرائيل والصومال فتستخدم فيها العربية لغة ثانية. واللغة المالطيـة - الـتي يـتحدث بهـا سكان جزيرة مالطة، الذين يربو عددهم على ثلاثمائة ألف- هى تطور عن اللغة العربية.

وقـد أقـرت هيـئة الأمـم المتحدة اللغة العربية لغة عمل ولغة رسمية لـلجمعية العامـة فـي عـام ١٩٧٣ بموجب قرار الجمعية العامة رقم ٣١٩٠ (د-٢٨) المـؤرخ فـي ١٨ديسمبر عام ١٩٧٣، ثم تساوت مع باقي لغاتها في سـنة ١٩٧٩، بموجـب قرار الجمعية العامة رقم ٣٤ / ٢٢٦ المؤرخ في ٢٠ ديسمبر ١٩٧٩.

وبمقتضـى قـرار الجمعيـة العامـة رقم ٣٥ / ٢١٩ المؤرخ في ١٩ ديسمبر ١٩٨٠ أصـبحت من بين لغات العمل واللغات الرسمية للهيئات الفرعية للجمعية العامـة. ثـم اعتمدها مجلس الأمن والمجلس الاقتصادي والاجتماعي لغة عمل ولغـة رسمية. وأدخلت اللغة العربية في منظمة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية (اليونيـدو) فـي عام ١٩٨٢. كما اتخذت مكانتها بوصفها لغة قومية في منظمة الوحدة الافريقية.

وفـي عـام ١٩٨٥ - وبهدف إحصاء ما أسمته جريدة (واشنطن بوست) الأمية الـلغوية فـي الدولة - نشرت شعبة (إدارة) الثقافة بالولايات المتحدة قائمة تضم مائة وتسعا وستين لغة، من ضمنها اللغة العربية، عدّتها الحكومة الأمريكية ذات أهمية خاصة، بمعنى أن معرفتها تدعم البحث العلمى الجاد، أو تعزز الاهتمامات الأمنية ذات الطبيعة القومية أو الاقتصادية[٣].

واللغة هي مناط الهوية، وقوام الذاتية؛ ومن هنا فإن الوهن أول ما يعتري أمة يصيبها في لغتها، كما أن أول قوة تتحقق لها تدركها فيها. ويتضمن انتشار لغة ما سر بقاء أصحابها، وها نحن إزاء عالم يتصارع على البقاء ، وقد تعددت فيه الأساليب للوصول إلى الأهداف المنشودة بأقل الخسائر الممكنة. لذا اتجهت

---

(3) Ibid, P. 342.

الدول الكبرى- في فرض إرادتها على الدول الصغرى- إلى الغزو الفكري والثقافي؛ فدأبت على نشر حضارتها وتقنياتها، بوساطة لغاتها، في مدارس الدول الصغرى وجامعاتها ومؤسساتها، وعبر مئات المراكز الثقافية التي تؤسسها لهذه الغاية، فضلا عن وسائل إعلامها المسموع والمرئي، بما يتميز به من دقة وإبهار.

من أمثلة ذلك أننا نرى بعض الجهات المسئولة عن اللغة الأسبانية، مثل معهد ثربانتيس، ينشر إعلانات في الصحف اليومية تبين أهمية هذه اللغة، وعدد الدول التي تستخدمها، والفوائد التي يجنيها دارسها. كما ينظم الدورات التعليمية لدارسيها.

ونجد أيضا دولة مثل اليابان قد أنشأت- على نفقتها الخاصة - قسما لتدريس اللغة اليابانية، ألحق بكلية الآداب، جامعة القاهرة. زودته بالمعامل اللغوية والوسائل التعليمية، مما أتاح الفرصة أمام الطلبة المصريين لتعلم اللغة اليابانية. ولم تكتف بهذا، بل فتحت المجال أمام الباحثين لاستكمال دراساتهم العليا، عن طريق إيفادهم في بعثات أو منح دراسية لدراسة اللغة اليابانية في جامعات اليابان ليكونوا سفراء دائمين لها.

وقد كان للعرب في العقود الأخيرة من القرن العشرين أهمية اقتصادية وسياسية كبيرة؛ لذا كانت اللغة العربية ذات أهمية خاصة للمتحدثين بها من غير أبنائها. فلحظنا بعض دول آسيا - مثل كوريا وتايوان - ترصد جوائز للمتفوقين من أبنائها في دراسة هذه اللغة، تشجيعا لهم على اجتياز امتحان خاص فيها، يضع أسئلته - بمستوياتها المختلفة - أساتذة من الخبراء المصريين، ثم تشجعهم على استكمال دراستهم للغة العربية في مصر من خلال منح دراسية تخصصها لهم.

كما وجدنا دولة مثل الهند تشجع دراسة اللغة العربية في جامعاتها ومعاهدها، عن طريق الحوافز والمنح التي توفرها لدارسي هذه اللغة؛ لما لها من أهمية سياسية

وتجاريـــة، ولفـــتح أسواق العمل في الدول العربية لأبنائها. كما تصْدر معاهدها وهيئاتها الحكومية عددا من المجلات والصحف المطبوعة باللغة العربية؛ لترويج اللغة العربية، وتشجيع الكتّاب على الكتابة بها.

كمـــا تـــبذل مصـــر جهدهـــا فـــي نشـــر اللغة العربية: فتوفد الأساتذة المتخصصـــين إلى دول جـــنوب شـــرق آسيا؛ للتخطيط والإشراف على تعليم العربية، وإنشاء المراكز التعليمية المتخصصة هناك. وقد خصصت بعض المنح الدراســـية لأبناء كوريا لدراسة اللغة العربية ، في إطار دعم التعاون الثنائي بين البـــلدين فـــي المجالات الثقافية. كما وافقت على منح مكتبة خاصة بمجموعات كـــتب لتعـــليم الـــلغة العـــربية ودراستها لإحدى جامعات كوريا الجنوبية، مع تخصيص مسابقة لمنح جائزة لأفضل الطلاب الكوريين من دارسي اللغة العربية لاستكمال دراستهم في مصر.

وتســـهم مصر في هذا الجانب أيضا بإيفاد عدد من شباب الباحثين، على نفقتها، للإشراف على تعليم اللغة العربية بالجمهوريات الروسية.

ولمـــا كـــانت تقوية اللغة العربية وتنميتها لمواكبة متطلبات العصرضرورة قومية ودولية، فإنه يتعين على مصر والدول العربية الاضطلاع بمسؤولية كبيرة تتمـــثل في الحفاظ على اللغة العربية ونشرها في الآفاق، وتشجيع الدارسين على تعـــلمها، ومـــد مظلتها لتشمل عددا أكبر من الدول؛ فضلا عن الإشراف الجاد المـــتكامل على القائمين بالتخطيط أو الموفدين للمتابعة أو التدريس، بحيث يشمل توفير كل الظروف المعيشية وتيسيرها، وتهيئة المناخ الملائم للموفد لكي يعطى عمله كل اهتمام، ويكرس طاقته لإنجاح مهمته.

كمـــا يقع على مصر ودول الجامعة العربية عبء تيسير تعلّم غير العرب لـــلغة العربية، وتطوير طرائق تعليمها لكى تتماشى مع مقتضيات العصر. فعلينا أن نـــبدأ بدايـــة جادة بالترغيب في لغتنا، وإيصالها إلى مختلف أنحاء العالم عبر مختلف الأساليب والأهداف، من خلال محاور ثلاثة، تتمثل في:

- المحـــور العقائدي: وذلك بوصل العالم الإسلامي باللغة العربية؛ لتمكينه من أداء رسالته الروحية الإسلامية على أفضل وجه.
- المحور الحضاري: وذلك بإرساء دعائم اللغة العربية عالميا، وتحديثها؛ حتى تتمكن من استيعاب المفاهيم العلمية والحضارية الحديثة.
- محـــور الالتزام القومي: ويتم ذلك بنشر اللغة العربية في دول المهجر، ووصل المهاجرين بقوميتهم وثقافتهم، قبل أن تمحوها الثقافات الأجنبية أو تصهرهم فيها.

وليـــس ثمة شك في أن القنوات الفضائية المصرية والعربية قامت بدور واضح في هذا الجانب، ولكن برامجها يغلب عليها الجانب الترفيهي، كما يشيع استعمال الـــلهجات فيها. وهو أمر يجب أن نتجنبه كي لا نرسخ عوامل التفكك والانفصال بين شعوب العالم العربي، والأنسب استخدام اللغة الفصيحة البسيطة.

ويلزم على دول الجامعة العربية فتح المدارس للجاليات العربية في البلدان الأوربية والأفريقية، وتأسيس المراكز الثقافية وأقسام الدراسات الإسلامية والعربية فـــي الجامعات العالمية؛ لتحمل مسئولية نشر اللغة العربية وبعثها بعثا طموحا في الآفاق، يصلها بالماضي التليد، ويمنحها المستقبل المشرق.